مفهوم الأدب الإسلامي في النقد العربي الحديث - الرافعي، وأحمد أمين، والزيات ، أنموذجاً

اعداد
د.عبدالرحمن عبداللطيف عبدالرحمن
جامعة جازان - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - السعودية

الاستلام : ١٤/ ٢ /٢٠١٩		القبول : ٢٥ / ٣ / ٢٠١٩

الملخص :
يتناول هذا البحث مفهوم الأدب الإسلامي في النقد العربي الحديث ممثلاً في عدد من رواده ، هم : مصطفى صادق الرافعي ، وأحمد أمين ، أحمد حسن الزيات . تناول الرافعي مذهبي القديم والحديث في الثقافة الإسلامية ، وبين أن الصراع بينهما يعتمد على موقفهما من الإسلام واللغة العربية اللذين دافع عنهما الرافعي ، ودحض حجج أعدائهما . وكذلك عبر أحمد أمين في (فيض الخاطر) عن رؤيته الإسلامية لمفهوم الأدب ، مبيّنا التمايز والفروق بين نوعين من الأدب (أدب القوة وأدب الضعف ، أو أدب الروح ، وأدب المعدة) . وتناول البحث أيضاً مفهوم أحمد حسن الزيات للأدب الإسلامي من خلال قراءته لشعر محمد إقبال ، وبيان فلسفته الإسلامية التي تعلي من شأن الروح ، كيلا ينغمس الإنسان في مستنقع المادة .

الكلمات المفتاحية : مفهوم - النّقد العربي الحديث – الأدب الإسلامي – الصّراع - الرؤية الإسلامية – الوعي الإسلامي .

Abstract:

This research deals with the concept of Islamic literature in Modern Arab Criticism represented by a number of its pioneers: Mustafa Sadeq Al-Rafi'i, Ahmad Amin, Ahmed Hassan Al-Zayat. Al-Rafi'i discussed the ancient and modern doctrines of Islamic culture, pointing out that the conflict between them depends on their position on Islam and the Arabic language defended by al-Rafa'i and refuting the arguments of their enemies. As well as Ahmed Amin in (Fayadh Al Khater) about his Islamic vision of the concept of literature, indicating the distinction and differences between the two types of literature (literature power and literature

weakness, or literature of the soul, and the literature of the stomach). The research also addressed the concept of Ahmad Hassan al-Zayyat for Islamic literature through his reading of Muhammad Iqbal's poetry and the statement of his Islamic philosophy, which raises the spirit, so that man does not indulge in the quagmire of matter.

Keywords: Modern Arab Criticism - Islamic Literature - Conflict - Islamic Vision - Islamic Awareness.

المقدمة :

شهد العقل العربي بعد ابن خلدون _ لأسباب مختلفة _ ركودًا كبيرًا استمر حتى عصر النهضة . وحينما جاء عصر النهضة ، وأخذ الأدب العربي بصفة عامة والإسلامي بصفة خاصة يتنفس ليبعث من جديد لم ينهض إلا على تلك الأسس الإسلامية التي تشكل قاعدة البنية الثقافية للحضارة الإسلامية .

قيض الله للأمة الإسلامية علماء مفكرين ومصلحين مثل جمال الدين الأفغاني ، ومحمد عبده ، وعبد الحميد بن باديس ، مما أدى إلى بعث ديني جديد ، وفكر إسلامي متطور . كان التواصل الفكري والمنهجي بين الأقطاب الثلاثة واضح المعالم ، إذ نقل محمد عبده بعض آثار جمال الدين الأفغاني من الفارسية إلى العربية ، واشتغل عبد الحميد بن باديس في منهجه التربوي بتدريس (العروة الوثقى) التي كام يصدرها الشيخ محمد عبده ، مما أدى إلى أن تتقارب أقلام الكتاب في الشعر والنثر والنقد فكرًا وأسلوبًا وهكذا كانت النهضة الفكرية الإسلامية قاعدة متينة لبعث الأدب ، فظهرت مدرسة (الإحياء) وكان من أبرز نقادها الناقد حسين المرصفي صاحب كتاب (الوسيلة الأدبية)، ومحمد المويلحي أحد تلامذة حسين المرصفي ، وفيلسوف الإسلام جمال الدين الأفغاني ، والشيخ محمد عبده . وكان من أبرزهم بعد ذلك المنفلوطي ، والعقاد ، والرافعي ، وأحمد أمين ، وأحمد حسن الزيات وغيرهم .

أولاً: مشكلة البحث وأسئلته :

يحاول البحث الإجابة عن الأسئلة التالية :

- ما مفهوم الأدب الإسلامي في النقد العربي الحديث ؟

ويتفرع من هذا السؤال الأسئلة الفرعية الآتية :

- كيف بين الرافعي مفهومه للأدب الإسلامي من خلال تناوله للصراع بين المذهبين : القديم والحديث ؟
- ما مفهوم أحمد أمين للأدب الإسلامي ، الذي وضحه في كتابه (فيض الخاطر) ؟
- كيف بين أحمد حسن الزيات رؤيته الإسلامية لمفهوم الأدب من خلال تناوله شعر الشاعر محمد إقبال؟

ثانياَ: أهداف البحث :

يتضح من خلال الأسئلة السابقة أن البحث يهدف إلى ما يلي :
تعرف مفهوم الأدب الإسلامي في النقد العربي الحديث ممثلًا في الرافعي ، وأحمد أمين، أحمد حسن الزيات .

ثالثاَ : أهمية البحث :

تتضح أهمية البحث في بيان مفهوم الأدب الإسلامي عند بعض نقاد النقد العربي الحديث.

رابعاَ: حدود البحث :

يقتصر هذا البحث على تناول مفهوم الأدب الإسلامي في النقد العربي الحديث ، عند ثلاثة من النقاد فقط .

خامساَ: منهج البحث :

اتّبع البحث المنهج الوصفي التحليلي الذي يعنى بوصف الظاهرة بقصد تشخيصها ، وكشف جوانبها .

*** الدراسات السابقة :**

توجد أبحاث كثيرة تناولت مفهوم الأدب الإسلامي . ومن هذه الأبحاث ما يلي :
(مفهوم الأدب الإسلامي وإسلامية الأدب عبر العصور) تناول الباحث الدكتور سانولا الأزهري في الجزء الأول من هذا البحث تعريف الأدب الإسلامي ، وفي الجزء الثاني حثّ الباحث الأدباء إلى تصحيح مسار الأدب في ضوء المبادئ والمفاهيم الإسلامية . ويدعو بحث (مفهوم الأدب الإسلامي) لنزار محمد عثمان إلى مفهوم واسع للأدب الإسلامي يشمل الحياة بشتى مجالاتها . وفي بحث (مع مفهوم الأدب الإسلامي) للدكتور عدنان علي رضا النحوي ، تناول الباحث مفهوم الأدب في الإسلام ، وفي اللغة العربية . وتناول الدكتور عبد المنعم الوكيلي في بحث عنوانه (مفهوم الأدب الإسلامي عند نجيب الكيلاني) الركنين الأساسين اللذين يعتمد عليهما مفهوم الأدب الإسلامي عند الكيلامي وهما : التعبير الجمالي المؤثر بالكلمة ، والتصور الإسلامي للوجود . ومن الدراسات السابقة بحث الدكتور أحمد محمد علي الذي عنوانه : مفهوم الأدب الإسلامي عند المستشرق جرونباوم) ، وفيه تناول المستشرق أثر الإسلام في الأدبين : العربي والفارسي . ويعرف الأستاذ عمر أبو عبيدة حسنة في بحثه الموسوم بـ (مفهوم الأدب الإسلامي) المفهوم الشامل للأدب الإسلامي بأنه تعبير فني جميل مؤثر ، نابع من ذات مؤمنة ، مترجم للحياة والإنسان والكون ،وفق الأسس العقدية للمسلم ، وباعث للمتعة والمنفعة ، ومحرك للوجدان والفكر ، ومحفز لاتخاذ موقف ، والقيام بنشاط ما . وفي بحث (الأدب الإسلامي رسالة القرآن للإنسان) للإمام المجدد عبد السلام ياسين ، يرى الإمام أن الأدب الإسلامي ينبغي أن يكون وسيلة من وسائل التربية ، لا أداة تسلية ، وبضاعة استهلاك .

وفي بحث(مفهوم الأدب الإسلامي بين الرفض والقبول : مقاربة تحليلية نقدية) لمحمد سميرسرحان، بين الباحث أسباب الرافضين لإضافة صفة (إسلاميّ) على الأدب ، ثم بين تعريف هذا المفهوم عند الدكتور حسن الأمراني ، والدكتور محمد قطب ، والدكتور نجيب الكيلامي . ويتناول جاسم الفارس في بحثه (مفهوم الأدب الإسلامي : المعنى والوظيفة) المفهوم الإسلامي للأدب ، ووظيفته وعناصره .

وفي دراسة موازنة بين (مفهوم الأدب الإسلامي في العصر الحديث بين الأدباء العرب والملاويين) توصل الباحث عدلي يعقوب إلى :

١/ بيان نقاط الاتفاق والاختلاف بين الأدباء والنّقاد في مفهوم الأدب الإسلامي .

٢/ أن مفهوم الأدب الإسلامي أخذ طريقه إلى أرخبيل الملايو عن طريق التأثر بإنتاج رواده ، وعن طريق طلاب العلم الذين وفدوا من الدول العربية ، ثم استطاع أدباء ونقاد أرخبيل الملايو إيجاد رؤية خاصة بهم للأدب الإسلامي ، راعوا فيها الروح الإسلامية ، مع التفاته إلى البيئة ، والمجتمع الملايوي .

وفي مقالة (الأدب الإسلامي من التصور إلى النظرية) يتناول الدكتور إبراهيم نويري المضمون في الأدب الإسلامي ، ونظرية الأدب الإسلامي ، وروادها .

وتختلف كل هذه الدراسات عن بحثي ، فهي لم تتناول مفهوم الأدب الإسلامي عند النقاد : الرافعي ، وأحمد أمين ، وأحمد حسن الزيات .

هذا ، وجعلت البحث في ثلاثة مباحث . وقبل هذه المباحث المقدمة ، ومشكلة البحث وأسئلته ، وأهداف البحث ، وأهميته ، وحدوده ، ومنهجه ، والدراسات السابقة له . وفي الخاتمة ذكرت نتائج وتوصيات البحث .

المبحث الأول : مفهوم الأدب الإسلامي عند مصطفى صادق الرافعي :

حينما ظهرت نزعة الثورة على التراث ، كتب مصطفى صادق الرافعي مقالاً تحت عنوان : (المذهبان : القديم والجديد) (١) ، قال فيه : ((فمتى كنت يا فنى صاحب اللغة ، وواضعها ، ومنزل أصولها ، ومخرج فرعها ، وضابط قواعدها ... حتى يكون لك من هذا حق الإيجاد ، ومن الإيجاد ما تسميه أنت مذهبك ولغتك)) (١) إلى أن يقول : ((زد على أني رأيت لأصحاب المذهب الجديد أصلاً في تاريخ الأدب العربي ، وكانت جذوره فيمن انتحلو الإسلام وهم يدينون بغيره ، وفيمن كانوا يدينون به ، وتزندقوا فيه)) (١) .

والجذران الأساسين للصراع في مذهبي القديم والجديد ، هما اللغة العربية ، والدين الإسلامي . فهذا هو المنطلق الذي ينطلق منه الرافعي في صراعه النقدي عن مسألة القديم والجديد ، إذ يفهمهما في ضوء التاريخ ، ومن ثم يصنف الصراع الحديث في ذلك الضوء .

ومن ثم يرى الرافعي أن أعداء اللغة العربية هم أعداء للقرآن والدين الإسلامي، لأن ((العربية لغة دين قائم على أصل خالد هو القرآن الكريم)) (١) .

ويضرب لتلك العداوة مثالًا بالدكتور طه حسين قائلاً : ((وما دمنا في طه حسين ، فلنضرب به مثلاً ، فقد جاء في كتابه (الشعر الجاهلي) بمخزيات كثيرة من الإلحاد والتهكم بالدين ، فاذا مضت ألف سنة ثم جاء أديب في مثل فكره وفهمه العجيب ، فوقف على كتابه أو نبذ منه ، أفلا يقطع بهذا الدليل – إذا لم يجد غير هذه المادة من التاريخ – أن الجامعة المصرية كانت في سنة ١٩٢٦ م معهد كفر وإلحاد ، ثم ينساق به الكفر إلى الأمة المصرية ، فيستنبط أنها كانت بقضها وقضيضها أمة كافرة ملحدة)) (١) .

وكان الصراع بين الرافعي وطه حسين عن مضمون كتاب (الشعر الجاهلي) للدكتور طه حسين الذي وقعت فيه أخطاء كبيرة بخصوص مسائل في الدين اتخذها صاحبها موضوعًا لمقدمات تأصيلية في كتابه ذاك مثل مسألة تاريخ اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، ومسألة بناء بيت الله الحرام بمكة، وغير ذلك، كما وقع في أخطاء أخرى بخصوص مسألة صحة الشعر الجاهلي .

ونستنتج من الصراع بين الرافعي وطه حسين أنه لم يكن صراعًا في مسألة الجديد والقديم ، وإنما كان صراعًا في المناهج والأفكار . وكان الدكتور طه حسين يعتمد منهج الشك عند ديكارت، يقول: ((للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل ، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضاً ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي ، فضلاً عن إثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة)) (١) .

ومعنى ذلك أن طه حسين _ باسم الموضوعية _ ((يزعم_ في غرور _ أنه تجرد من العاطفة والدين ، ليدرس ويستثبت ويحقق)) (١) ، وله أن يفعل ذلك ((بشرط أن يكون مؤمنًا ، يعد ما جاء به القرآن الكريم حقًا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ويعتمده لتصحيح ما قد يقع فيه المنهج التاريخي والتجريبي أو المنهج العقلي من أوهام وظنون)) (١) .

ونستنتج أيضاً من الصراع بين الرافعي وطه حسين أن الحديث عن الدين كان مرتبطًا بالحديث عن اللغة العربية الفصحى ، ومن هنا كان دفاع الرافعي عن الشعر الجاهلي ، وهذا ما يفهم من نقده لطه حسين ، يقول : ((إنه _ أي طه حسين _ تذرع بهذا البحث إلى إنكار أصل كبير من أصول اللغة العربية من الشعر والنثر قبل الإسلام ، مما يرجع إليه في فهم القرآن والحديث)) (١) .

وكان الرافعي ينطلق في نقده من العقيدة الإسلامية ، ولذلك توصل إلى نتائج خطيرة ترتبت عليها أحكام نقدية تصل إلى التكفير أحيانًا ، كقوله: ((عصبية طه على الإسلام تلبس ثلاثة وجوه : أولها عقيدته في القرآن ، وأنه من وضع الذي جاء به ، لامن وحي ولا تنزيل ولا معجزة . وثانيها : رأيه في النبي ﷺ وأنه رجل سياسي ، فلا نبوة ولا رسالة . وثالثهما : عمله في توهين أمر الأئمة من الصحابة فمن بعدهم ، وقياسهم في الإنسانية وأهوائها وشهواتها ، على قياس من نفسه وطباعه)) (١).

إذاً فلقد كان الصراع الفكري عنيفاً ، وكان متعدد الأسباب ، فهو صراع في المناهج ، واللغة والعقيدة ، ومضامين النص الأدبي ، كما كان صراعًا في مسألة القديم والحديث المتأثر بالتيارات الغربية المعادية للدين .

وقد اشتد الصراع بين طه حسين والرافعي ، مما أدى بالرافعي إلى أن يستخدم المصطلحات الإسلامية التي هي أكثر تعبيرًا عن أفكاره ، مثل مصطلح (الفن الإسلامي) .

ولعلنا حين نقرأ النص التالي ، الذي انتقد فيه الرافعي مذهباً ذهبه طه حسين بشأن الفن القصصي عند المسلمين ، نتبين الأمر أكثر ، قال ناقلًا عن طه حسين ورادًا على قوله في أن المشتغلين بالقصص كانوا أصحاب هزل: ((ونحن نقرر أنه لم يكن يقص في أولية هذا الفن الإسلامي إلا أصحاب الجد من المسلمين ، وبه عرفوا وبهم نشأ وبفصاحتهم نبغ ، وهذا الحسن البصري كان أشهر قاص في زمنه ، وهو من سادات التابعين)) (١).

والحق أن المسألة شائكة حقًا ، وتحتاج إلى استقصاء تاريخي للنصوص القصصية والنقدية ، ولكن مع ذلك ، فمن الممكن إبداء بعض الملحوظات ، منها استخدام الرافعي لمصطلح (الفن الإسلامي) الأمر الذي يبين أن الصراع النقدي لم يكن هامشيًا ، وإنما كان في صميم مشكلة إسلامية الأدب . وعد الرافعي استخدام (الحسن البصري) للقصة الإسلامية في أسلوبه الدعوي، إدراكًا لدور القصة في تبليغ الرسالة . ولعل إدراك الرافعي لهذه الطريقة المعتمدة عند الحسن البصري هي التي كشفت له كثيراً من الجوانب المتعلقة برسالة الأدب . فقد كتب يقول : ((.. القاص لا يسمى قاصًا عند المسلمين إلا إذا كان يقص للتعليم والوعظ ، وللتذكير بالآخرة ، والتزهيد في الدنيا ، وحفظ الروح والخلق ونحوهما ، وأن أساس هذا الفن كان تحريض المؤمنين على الجهاد والترغيب فيما عند الله وإيثاره على الحياة ، فكان مرجع القاص في قصصه إلىالتفسير والحديث والحكمة، وماتناوله من أخبار الماضي ومالا حرج عليه في وضعه))(١) فإذا حللنا هذا النص النقدي الذي جاء في سياق الرد على طه حسين ، نرى أن القاص في المنظور الثقافي الإسلامي _ كما يراه الرافعي _ لا يعتبر قاصًا ، إلا إذا انبثق قصه من العقيدة الإسلامية ، والتصور الإسلامي، وفهمه للكون والحياة .

المبحث الثاني : مفهوم الأدب الإسلامي عند أحمد أمين :

إن كانت ملامح الأدب الإسلامي قد اتضحت في العصر الحديث _ الذي عرف بعصر النهضة _ بعض الوضوح على يد مصطفى صادق الرافعي كما رأينا ، فإن ذلك لا يعني أنه كان وحده الناقد الذي توجه بجد نحو الأصالة فقد كانت الرؤية الإسلامية أكثر تطوراً ونضجًا في مقالات عدد غير قليل من جيل الرافعي ، ولا سيما مقالات أحمد أمين التي جمعت في كتابه (فيض الخاطر) .

يميل (أحمد أمين) إلى الدراسة القائمة على الثنائية الضدية ، ولذلك نجد له عبارات وعناوين مثل : (أدب القوة وأدب الضعف – عاطفة صحيحة ، عاطفة مريضة ، الأدب القديم والأدب الحديث – أدب الروح وأدب المعدة – أدب مادة وأدب روح – روحانية الشرق ومادية الغرب) (٢) .

تناول أحمد أمين (أدب القوة وأدب الضعف) ، وبين أن المراد بذلك هو الجانب المضموني لا الجانب الفني ، قائلاً : ((ولست أعني بالضعف أو القوة ضعف الأدب أو قوته من الناحية الفنية ، وإنما أعني ضعفه وقوته من الناحية الخلقية والاجتماعية ، فقد يكون هذا النوع الذي أسميه ضعيفًا أو مائعًا في منتهى الرقي من الناحية الفنية ، كما قد يكون الأدب القوي ليس قوياً بالمقياس الفني)) (٢) .

فالناقد هنا يحدد المجال الذي سيحرك فيه أداةته النقدية ، بحثًا عن قوة الأدب ، ولكي يبين معالم وجهة النظر هذه التي تعتمد في التمييز بين الآداب قوة وضعفًا على الناحية الروحية والاجتماعية والخلقية ، نراه يضرب لذلك مثالًا بالأدب العربي منذ مرحلة الجاهلية إلى العصر العباسي ، ليصل إلى القول بأن ((الدارس يرى الأدب الجاهلي قوياً كجلمود صخر حطة السيل من عل ، حماسة قوية وفخرًا قويًا ، بل وغزلًا قويًا . والأدب الإسلامي إلى آخر العهد الأموي ، أدب قوي فيه عزة الفاتح ، وإعجاب الظافر ، ونشوة المنتصر ، وإن كان فيه نغمات ضعف فنغمات الحزين الذي غلب على أمره ، أو المحب الذي يئس في حبه ، أما ماعدا هذا ففخر وإعجاب وهجاء في أعلى درجات القوة فإذا نحن انتقلنا إلى العصر العباسي رأينا العزة العربية تأخذ في الضعف ، ورأينا الانهماك في اللهو يبعث أدبًا جميلًا في فنه ، ضعيفًا في روحه))(٢) .

فالتصور الذي انطلق منه (أحمد أمين) هنا ، لم يكن يرتكز على مبدأ أدبية الأدب ، أو شعرية الشعر ، من حيث هي شكل وتفنن في الصياغة ، وإنما يرتكز أساسًا على روح النص ، التي هي – في نظره – جوهر العمل الأدبي .ولذلك أضحى (الأدب الإسلامي) في صدر الإسلام والعصر الأموي _ أدبًا قويًا، في خين كان أدب العصر العباسي – في رأيه – ((ضعيفاً في روحه)) ولا أوافقه على هذا لأن الأدب في العصر العباسي كان أيضًا مثل الأدب في العصور التي سبقته من حيث وجود الأغراض الشعرية من فخر وإعجاب وهجاء في أعلى درجات القوة . ويحدد أحمد أمين مادة الأدب باعتبار طبيعة العاطفة التي ينبعث عنها صحة ورضًا ، وصلاحًا وفسادًا ، فيرى أن ((كل عاطفة من عواطف الإنسان ، - على كثرتها وتعددها – موضوع للأدب ، وخير الأدب ما انبعث عن عاطفة صحيحة لا مريضة ، فالشعر المتناهي في وصف ما يلاقي المحب من العذاب ، ليس _ في نظري _ مؤسسًا على عاطفة صحيحة ، كالذي في شعر العباس بين الاحنف وأمثاله . وهذا الشعر – وإن أرضى الجمهور ولذهم – هو في كثير من الأحيان أجوف ، وهو في كثير من الأحيان نتاج عاطفة مريضة ، وليس من الحق أن يبيع الإنسان عواطفه بهذه السهولة)) . (٢)

فالعواطف كلها – عند أحمد أمين – مادة للأدب ، ولكن هناك فرق في درجة الصلاح ، فهي إن كانت في الظاهر استخدمت مادة للأدب فإن ((الاخلاقي يرى أن الأدب الذي يثير شعورًا أخلاقيًا كالإعجاب بالبطولة واحتمال الآلام في سبيلها أعمال جليلة . وأرقى الأدب – في نظرنا – ما أحيا الضمير وزاد حياة الناس قوة)) . (٢)

وهذه نظرة أخلاقية إلى الأدب تشاكل نظرة القدماء إلى الجمال ، حينما رأى بعضهم أن الجمال الحسي يدركه الصبيان والبهائم ، بينما الجمال الباطني يختص بإدراكه أرباب القلوب ، ولا يشاركهم فيه من لا يعلم إلا ظاهرًا من الحياة الدنيا (٣) . ولكنها نظرة جدية إلى الأدب ، تمنحه موقعه من العلوم الإنسانية ، وترتفع به عن السفاسف والسخافات ، ليصبح أدبًا يحيي الضمير ، ويزيد حياة الناس قوة .

وهكذا يقرر (أحمد امين) امرين اساسين في بناء الأدب ليصلح لبناء الحضارة ، وأداء الرسالة ، هما : الحاجة إلى أدب يحيي الضمير ، وأدب يقوي العاطفة ويضبط جموحها. ويرى أن ((الأدب العربي بحالته التي هو عليها الآن لا يصلح أن يكون غذاء كافيًا للجيل الحاضر سواء في ذلك الأدب القديم والأدب الحديث)) . (٢)

ويعلل (أحمد أمين) لما ذكره قائلاً : ((إن الأدب إنما يعد صالحًا للأمة إذا كان مظهرًا تامًا شاملًا صادقًا لحياتها الاجتماعية على اختلاف أشكالها في جدها وهزلها ، في صبا أفرادها وكهولتهم وشيخوختهم ، في آلامهم وآمالهم ، في حياتهم السياسية ، وحياتهم الاقتصادية ، فإذا استطاع أدب الأمة أن يملأ كل هذا الفراغ يعد أدبًا صالحًا كافياً ، وإلا ... فلننظر في صور هذه النظرية إلى الأدب العربي. فأما الأدب العربي القديم ، فلا يمثل ((إلا أجياله ، وليس صورة للحياة الإجتماعية التي نشأ فيها، وليس صورة لحياتنا ... وأما الادب العربي الحديث فهو كذلك لا يكفي لغذاء الجيل الجديد لأنه لم يملأ حياتنا، وإن شئت فاستعرض كل شؤوون الحياة تجده لم يحقق رسالته)) . (٢)

فالناقد هنا يحيلنا إلى (نظرية) هي التي تحدد في نظرة صورة (الأدب الصالح للأمة)، وتناول (أحمد امين) في موضع آخر من كتابه (فيض الخاطر) (أدب الروح وأدب المعدة) إذ يميز فيه بين نوعين من الأدب ، أحدهما يخدم الجانب المادي في الإنسان ، وثانيهما أدب الروح الذي يسمو بعواطف الإنسان ليحقق المثل الأعلى في سلوكه ، فيقول : ((هذا مصطلح جديد أضعه لنوعين من الأدب يتميزان كل التميز ، ويختلفان كل الاختلاف، أدب الروح وأدب المعدة . وأعني بأدب الروح ، الأدب الذي يتصل بالعواطف السامية عند الإنسان فيهذبها ويرقيها ويغذيها ، أما أدب المعدة فنريد به ذلك الادب الذي يدور حول سد الرمق ، وملء المعدة ، واستدرار المال ، وتحصيل القوت)) . (٢)

ولعل هذا التقسيم الذي قدمه هنا لا يختلف عن التقسيم الذي ذكره في مقاله السابق الذي ميز فيه بين أدب القوة وأدب الضعف ، إذا إنه يوشك أن يضع أدب القوة

مرادفًا لأدب الروح ، ويضع أدب الضعف مرادفًا لأدب المعدة أمام القارئ ليتبين بصورة أوضح طبيعة النظرية التي يريد أن يؤسس لها.

يرى (أحمد أمين) في هذا المقال ((أن أدب الحماسة أدب روح لأنه يطهر النفس ، وأدب الطبيعة أدب روح ، لأنه شعور بالجمال مجردًا من الرغبة ، وتقدير للحسن منزهًا عن الأثرة ، ومزيج من شعور بالجمال والجلال)) . (٢)

ويدعو إلى الأدب الإيماني الذي يجمع بين الإصلاح الاجتماعي ، والإصلاح النقدي ، فيقول : ((أما في المستقبل ، فيشعر الأديب بأنه مسؤول عن الحياة الاجتماعية التي يعيش فيها ، ينادي برفع الظلم ، ويأسف لسوء الحال ، ويحارب الشكاك الذين لا يؤمنون بشيء ، فلا يؤمنون بالله ، ولا بالوطن ، ولا بأي شيء)) .(٢)

الناقد هنا يركز على الإيمان بالله ، ومن ثم كان رفضه لأدب الشكاك الذين لا يؤمنون بشيء ،فهو يبحث عن الأدب الرسالي ، ومن ثم كان نقده للأدب القديم والحديث مبينًا على قيم الرسالة في مستواها الخلقي لا في مستواها الجمالي . وهو يرى أن هذه الوجهة النقدية ضرورة حتمية ، وأن التاريخ سيقدر ((الأدباء تقديرًا آخر غير التقدير الماضي . لقد كان التقدير الماضي مبنيًا على فخامة الأسلوب ، وجمال التعبير ، والقدرة على البديع . أما في المستقبل فسيكون تقدير الأديب : ماذا صنع لأمته ، وكيف هداها إلى الخير ، وإلى أي حد رفع صوته ضد الظلم والفساد ، مؤيداً للعدل والصلاح)) . (٢)

ويرى هذا الناقد أن ((في الإنسان عنصرًا روحيًا بجانب عنصره الحيواني والعقلي ، أحسه الإنسان منذ وجد ، وكما أن عنصر العقل فيه مظهره العلم فعنصر الروح فيه مظهره الدين)).(٢)

ويرى أن العلم وحده – ونحن في عصر العلم – لا يستطيع أن يجيب عن كثير من المسائل ، مما أدى إلى وجود فراغ كبير في حياة الإنسان المعاصر لا يملؤه إلا الإيمان ، يقول :((ولما فرغ العلماء لعلمهم، وبحثوا واكتشفوا القوانين ، وآمنوا بالعلم كل الإيمان ، ظل كثير منهم يشعرون بفراغ في أنفسهم . وهذا الفراغ لا يملؤه إلا الإيمان بقوة فوق المادة)) .(٢)

ويرى أن ((من مزايا الدين توسيع النفس، وهو ما عبر عنه الإسلام بانشراح الصدر .. فالمؤمن يشعر شعوراً عميقاً بأن قوة تؤيده، وتكتسح الصعاب أمامه ، وهو يشعر بانهدام السدود والحدود في طريقه ... يضمه عالم الغيب إلى عالم الشهادة ، واتصال الحياة الأخرى بالحياة الأولى ، فهو واسع الرجاء ، لا يعوق نظره عائق ، ينجذب إلى عالم علوي فيه السعادة ، وفيه الرضا ، وفيه الطمأنينة)) . (٢)

والحق أن الاهتمام بالعدل والصلاح والإيمان ، وتداخل الغيبي مع الحسي من الركائز الأساسية التي ينبني عليها المنهج الإسلامي . ومن ثم يمكن أن نعد النقد الذي صدر من الناقد أحمد أمين من صميم النقد الإسلامي . ولعلنا حين نرجع إلى تعريفه للفن يتبين لنا ذلك ، يقول : ((والفن من أدب وموسيقى وتصوير أساسه الفهم العاطفي ،

والشعور بما خفي وراء المظاهر ، والوصول إلى قلب الأشياء ، ومزجها بعواطف الفنان ومشاعره ومزاجه ، وإبرازها في شكل متناغم ، فإن هو لم يمس الباطن ، واكتفى بالسطح لم يؤد رسالته ، وعد من توافه الأشياء ، وإن هو اكتفى باستدرار المال من الامراء والاغنياء ، أو كان وسيلة لإثارة المشاعر الجنسية ، كان سلعة تجارية وضيعة ، لا سمواً روحياً رفيعًا)).(٢)

أليس هذا الفهم للفن ورسالته في الحياة ينم عن تصور إسلامي سليم للأدب ؟

وبهذا كله نستطيع أن نعد (أحمد أمين) ممن نظر مبكرًا إلى الفن الإسلامي ، وإن لم يستخدم المصطلح المتداول اليوم بين النقاد الإسلاميين المعاصرين .

المبحث الثالث : مفهوم الأدب الإسلامي عند الزيات :

أحمد حسن الزيات أديب وناقد ، استرعى انتباهنا – في مجال مسيرة الأدب الإسلامي ونقده – بالمقاربة النقدية التي قام بها إزاء شعر إسلامي كتب بغير اللغة العربية ، ثم ترجم ، وهو شعر الشاعر محمد إقبال ، فقد كتب تحت عنوان: (محمد إقبال ، تحية لشاعر الإسلام في يوم ذكراه) مقالاً نقدياً عرف به تعريفاً حسنًا.

وكان أكثر ما شد انتباه الزيات ، واستولى على قلبه في شعر محمد إقبال الجانب الفكري لما فيه من عمق وصفاء إسلامي ، وفلسفة ((شعرية فريدة ، لا هي عدمية مترددة شاكية كفلسفة أبي العلاء ، ولا هي وجودية ملحدة قاسية كفلسفة نيتشة، وإنما هي الإسلامية الموحدة المؤلفة السمحة كما أوحاها الله، بروحيتها النابعة من القلب الشاعر بآلام الأرض،وماديتها الصادرة من العقل المتصل بإلهام السماء))(٤)

ولعل أكبر فكرة تبرز في هذا النص فكرة الإسلامية الموحدة التي تجمع وتؤلف بين الروحية النابعة من القلب ، والمادية الصادرة من العقل .

يقول الزيات : ((إننا لا نستطيع أن نفصل بين نهضتنا والأدب ، ولا بين حضارتنا والدين اتعاظًا بالفشل المروع الذي نكبت به الحضارة الغربية ، وإيمانًا بأن لنا نحن العرب رسالة روحية اصطفانا الله لأدائها جيلاًبعد جيل ، ليبقى الاتصال بين السماء والأرض ، ويدوم المدد بين الله والإنسان)) (٤)

فلسفة إقبال التي أبهرت أحمد حسن الزيات هي عدم الركون إلى المادة ، وإهمال الروح لأن ((المادة هي علة الشقاء للإنسان الحديث ، أصيبت بها المدنية الأوروبية فوقعت الجفوة بينها وبين الدين ، وانقطعت الصلة بينها وبين القلب ، وتشعبت الحاجات ، وتنافست الاطماع ، وتكاشفت الأحقاد)) (٤)

أحمد حسن الزيات _ بهذا الفهم لحقيقة التصور الإسلامي _ كان يرى أن الشاعر محمد إقبال من خير الشعراء الذين هضموا الفكر الإسلامي ، وعبروا عنه في تجاربهم الشعرية أحسن ما يكون التعبير ، يقول: ((فهم إقبال الإسلام على حقيقته التي أنزلها الله ، وعلى رسالته التي بلغها الرسول ، وعلى سياسته التي نفذها الصحابة ، فهمه على أن عمارة الدارين بالعمل الصالح ، وسعادة الحياتين بالإيمان الحق ، ... فدعا إلى

استقلال الذات ... من طريق الإيمان والعبادة في ديوانه (أسرار خودي) وإلى يقظة الوعي الإسلامي في المجتمع عن طريق الثورة والجهاد في كتابه (باك دار) أو (صلصة الناقوس) ، وإلى توثيق الأخوة الإسلامية في الشرق عن طريق التوحيد والتعاون في (بيان مشرق) أو (رسالة الشرق))) (٤)

وللشاعر محمد إقبال رسالة عظيمة قال عنها الزيات: ((ثم كان هذا الرجل المختار الذي نبت جسده في رياض (كشمير) ، وانبثقت روحه من ضياء (مكة) ، وتألف شعره من ألحان (شيراز) لساناً لدين الله في دنيا العجم ، يفسر القرآن بالحكمة ، ويصور الإيمان بالشعر، وينشئ الفرد على الاستقلال والعزة، ويؤسس المجتمع على التقوى والمحبة ، ويدعو إلى حضارة شرقية قوامها الله والروح ، وينفر من حضارة غربية عمادها الإنسان والمادة ، ويشيد بماضي الإسلام الذي طهر النفوس ، وأصلح الأرض ، ويندب حاضر المسلمين الذي مزق التراث المحمدي كل ممزق ، ويشنع على طغاة الاستعمار الذين سخرهم الشيطان لإفساد الكون ... وهم الذين عناهم إقبال بقوله في بيت شعر .. معناه:

خلقت يا رب من النار إبليسًا واحدًا وخلقت من الطين مليون إبليس (٤)

فرسالة الشاعر محمد إقبال كما اتضح من قول الزيات ، تدور حول أفكار أساسية منها الدعوة لدين الله في دنيا العجم ، وهي رسالة من أخطر الرسائل في باب الدعوة ، ومنها تأسيس المجتمع على التقوى والمحبة، ومنها التنفير من الحضارة الغربية في بعدها المادي الذي يفرغ قلب الإنسان من الروح ليسخره للمادة، ومنها التشنيع بالاستعمار الذي سعى في أرض الإسلام فسادًا ، ومنها ندب حاضر الإسلام والمسلمين .

قال الزيات : ((إذ نراه (أي إقبال) يقطع الشعر حسرات على دين أحاله الجهل والضعف في نفوس أهله إلى شعائر من غير شعور ، ومناسك من غير نسك، وينعى على المصلين ألا تنهاهم الصلوات عن الفحشاء والمنكر ، وعلى المزكين ألا تطهرهم الزكوات عن الأثرة والشح ، ويقول لأولئك الألوف الذين يذهبون كل عام إلى الحجاز ، وهم لا يدركون سر الحج ، ولا معنى الجماعة في بيت من شعره الساخر :

أما يسأل أحد أولئك العائدين من حج البيت الحرام أنفسهم عن مغزى الحج

ألم يجدوا هناك ما يهدونه إلينا غير قارورة من ماء زمزم ؟))(٤)

أقول: لا شك أن إقبالًا لا يخفي عليه فضل ماء زمزم وبركته ، ولكنه أراد أن من الناس من يحج دون أن يؤثر حجه في سلوكه ، فيرجع منقاداً لهوى نفسه والشيطان، والعياذ بالله من ذلك .

ويختم الزيات مقاله ، وهو يتمنى لو عرف إقبالًا عن طريق لغته وفنه ليعرفه عن كثب ، ولتكون العلاقة بينه وبين أدبه علاقة يمتزج فيها الشكل مع المضمون . يقول : ((عرفت إقبالًا عن طريق فكرته وعلمه، لا عن طريق لغته وفنه ، والحكم على العالم الفيلسوف بما ينقل من علمه وفكره جائز ، ولكن الحكم على الشاعر الفنان بما ينقل من

شعره وفنه مستحيل ، وما علمناه من آراء إقبال في الإسلام والمسلمين مجردًا من وحي اللغة ، وسحر الأسلوب ، وحيلة الفن ، وإشعاع الروح ، يحله محل الزعيم المصلح ، فكيف إذا قرأناها علمًا في فن ، وشعورًا في شعر ، وواقعًا في خيال ، وحقيقة في مجاز ،وفكرة في صورة ؟!))(٤)

وللزيات ملحوظات أخرى على المستوى النظري ، يبين فيها رسالة الفنان بقوله : ((إن رسالة الفنان الرفيعة أن تجمل الحياة ، وتهذب الحضارة ، وتسمو بالإنسان ... ولا يتسنى لها ذلك إلا إذا احتفظت بالجزء الإلهي الذي يقرب الأدب من الدين ، ويربط الأرض بالسماء))(٤)

وتناول الزيات في مقال آخر اللذة والمجون في الأدب ، وبين ((أن خطر الأدب الماجن على الفرد والجماعة ، وعلى الأدب نفسه لا يماري أحد فيه)) (٤)

والزيات لا يعد الأديب سباقًا إلى الإصلاح ، يوجه المجتمع ويرشده ، وإنما يراه مرآة للواقع ، أو مصورًا له. ومن ثم فهو صورة للمجتمع الذي نشأ فيه ، يطهر أدبه بطهارة المجتمع ، ويسفل بسفالته ، فتراه يقرر: ((فإذا شئتم أن يطهر أدبكم من المجون والبذاء ، فطهروا مجتمعكم من الفجور والرياء ، فإن الأدب صورة جمالها من جمال الأصل ، وقبحها من قبحه)) (٤)

وهذا ليس صحيحًا دائمًا ، فما كل الأدباء مرآة لمجتمعهم ، إذ منهم من تكون نفسه مرآة لثقافة ربانية ، ومن ثم ينظر إلى المجتمع من خلال رؤيته تلك ، فيراه ناقصاً فيدعوه إلى الرشاد ولذلك كان الناقد النفساني ثاولس يرى ((أن الخطوة الأولى نحو تعليل الإبداع الفني هي الكشف عما شهده الشاعر من نقص في بيئته ، وكيف دفعه شعوره بهذا النقص إلى تفقد الحل الذي يرضيه)) .(٥)

وكان جينو سفيرين يرى أن ((رسالة الفنان هي أن يتمثل الحياة ، وينساب فيها ، حتى يكتشف الحق ويظهره للآخرين)) (٥)

الخاتمة :

حاول هذا البحث أن يتعرف مفهوم الأدب الإسلامي في النقد الأدبي الحديث ممثلًا في ثلاثة من رواده وهم : مصطفى صادق الرافعي ، وأحمد أمين ،و أحمد حسن الزيات ، كما ورد في بعض كتبهم . وخلص البحث إلى ما يلي :

١/ صراع الرافعي مع مناوئيه كان صراعًا في المناهج والأفكار ، منطلقًا من العقيدة الإسلامية .

٢/ اعتمد أحمد أمين في تصوره ، ومفهومه للأدب الإسلامي ، على أمرين هما : إحياء الضمير ليصلح لبناء الحضارة الإسلامية ، وأداء الرسالة الإنسانية ، وتقوية العاطفة التي يصدر عنها الأدب ، لتكون عاطفة إيمانية قوية ، تمكن لأدب القوة ، وتنبذ أدب الضعف.

٣/ اهتمام الزيات بالجانب الفكري في الشعر ، وما فيه من عمق وصفاء إسلامي ، وتوحيد ، ممثلًا في شعر إقبال .

هذا ويوصي الباحث بتحفيز الأدباء والباحثين على إعداد بحوث تتناول الأدب العربي من خلال المنظور الإسلامي .

المصادر والمراجع :

١- مصطفى صادق الرافعي ، ١٩٧٤م ، تحت راية القرآن ، دار الكتاب العربي ، ط٦ ، ص١٥ ، ١٨، ٢٢٦ ، ٢٢٤ ، ١٦٨ ، ١٢٣ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ .

٢- أحمد أمين ، ١٩٦٥م ، فيض الخاطر ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٥ ، ج١ . ص ١٦ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٩ ، ٢٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣-١٦٥ ، ٢٣٩ ، ج٢. ص ٨٢ ، ج٧. ص ٦٤، ج٥. ص ٦ ، ٢ ، ٣ ، ١٢-١٣ .

٣- أبو حامد محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، بدون تاريخ ، دار الكتاب العربي ، بدون طبعة ، ج٥. ص ٥٩٦ .

٤- أحمد حسن الزيات ، بدون تاريخ ، وحي الرسالة : فصول في الأدب والنقد ، دار النهضة ، مصر ، القاهرة ، ط ٨ ، ج٤. ص ٣٤٥ ، ٢٦١ ، ٢٦٠ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ١٢٧-١٢٨ ، ٢٠٥ .

٥- مصطفى سويف ، بدون تاريخ ، الأسس النفسية للإبداع الفني ، دار المعارف ، ط٤ ، ص ١١٩-١٢٠ ، ١٤٥ .